تكون حقوق الانسان منتهكة · واخيرا ، لقد كنا نتوقع من نيبور ان يبذل بعض الجهد ليستمع الى « الجماهير البائسة » والى رغباتها ، او ـ على الاقل ـ ان يفترض ان بين رغباتهم ـ التي يمكن ان تكون طبيعية بدرجة او بأخرى ـ رغبة في الا يطردوا او « يستفيدوا » بهذه الدرجة من العنف من حضارة متفوقة ·

لو ان نيبور كان يتحدث عن الوضع في جنوب افريقيا ، او عن امريكا الجنوبية، لما كان من الممكن ان تغتفر مثل هذه الغطرسات والمعاني الضمنية العنصرية ، وهو وضع كان يمكن تقديره اكثر حينما ندرك ـ كما ذكرت آنفا ـ ان نيبور يعتقد انه يعبر عن وجهة نظر متقدمة او تقدمية ليبرالية · ونتساءل حسنا اذن هل من الممكن ان نيبور لم يكن يعرف ما كان يحدث في فلسطين ، او (وهذا ما اعتقده) انه كان يظن حقا ان الصهيونية متفوقة ثقافيا على « الانحلال » العربي ؟ وهذا ما ينقلني الى المثل الثاني ، الذي سيصور المدى الذي يؤدي به تأييد الصهيونية ـ في ظل جوانبها الايجابية والموجبة ـ ليس فقط الى قبول متذمر لبعض الواقع العربي في فلسطين ، بل ايضا الى شعور موجب وايجابي بان الصهيونية فعلت خيرا بتدمير فلسطين العربية · لقد كان ادموند ويلسون ـ الذي لا يقل مكانة عن نيبور كمتحدث وكشخصية ثقافية ذات مكانة ـ كاثوليكيا ناقدا المعيا مرموقا للادب والمجتمع والتاريخ والاخلاق · وقد قدم ـ بصورة تفوق ما فعله نيبور ـ صورة عاشت معه سنوات طويلة ـ للتمييز بين تلك العناصر من الثقافة الغربية (والعالمية) التي كانت (والعبارة متهافتة بعض الشيء ، ولكني استخدمها مخلصا) مدعمة للحياة ، وتلك التي كانت معطلة للحياة · وأيا ما كان ويلسون فانه لم يرتبط ابدا بالدولة ، ولا بأي شيء ينطوي على ادنى درجة من الشوفينية او حتى بأي شيء يتعلق بالمؤسسات · ويعرف عنه هذا كل واحد من قرائه ، ولقد كان اكثر رجال الادب الذين انتجتهم هذه البلاد حظا من القراء · كان ويلسون معنيا بشكل خاص باليهود والعبودية والعهد القديم · وعندما بلغ الستين من عمره كتب في مقال عن اليهود ان « ثقافة اي شعب اخر (غير الانجليز ، وبعدهم المتطهرين الاميركيين) لا تبدو متناثرة الى هذا الحد العميق بهذه (العبارات والرؤى من التوراة اليهودية) » (قطعة من عقلي ، ص ٨٥) ، ودراسة للغة العبرية ، وكذلك كتابه عن « مخطوطات البحر الميت » تشهد على التأثير الخاص لليهود واليهودية عليه · ولن يجد المرء مشكلة مع موقف كهذا بطبيعة الحال ، الا عندما يتعلق الامر باسرائيل ·

يشتمل كتاب ويلسون اسود ، احمر ، اشقر ، وزيتوني على قسم طويل غير مترابط يتعلق بزيارة ويلسون لاسرائيل · والقطعة قصصية وتأخذ شكل يوميات كانتقاد عشوائي كنماذج من انطباعاته في اسرائيل ·معظمها منبثق عن قراءته للادب العبري وعن اهتمامه بالديانة اليهودية · وهو في احدى النقاط يعلق على الارهاب الذي بواسطته جاءت الدولة الى حيز الوجود ، وكيف انه يمكن ان يكون